حوليات آداب عين شمس المجلد 51 (عدد يوليو – سبتمبر 2023)
http://www.aafu.journals.ekb.eg
(دورية علمية محكمة)
جامعة عين شمس
كلية الآداب

الاثنولوجيا وعولمة الصورة في الخطاب السينماتوغرافي

شروق مالك حسن*

تدريسية/ جامعة بغداد – كلية الفنون الجميلة
shoroukhassan@HOTMAIL.COM

تاريخ الاستلام: 2019/09/11
تاريخ قبول البحث: 2019/10/07
تاريخ النشر: 2023/09/30

المستخلص:

اضحت العولمة بكل تاثيراتها وسيلة لتصدير افكار صناع الاعمال السينماتوغرافية، عبر خطاب يعتمد الصورة البصرية مرتكزا على الاثنولوجيا كعلم دراسة الانسان كونه كائن ثقافي، لتمرير خطاب يحط من قيمة الشعوب غير الغربية، ولدراسة هذا الموضوع قامت الباحثة بعرض مشكلة بحثها(كيف تتمثل الهوية الاثنولوجية في ظل عولمة الصورة في الخطاب السينماتوغرافي؟)، ومن اجل التاسيس النظري للبحث، فقد تمثل الاطار النظري على مبحثين هما: المبحث الاول (الاثنولوجيا والانزياح الفني للمفهوم)، والمبحث الثاني (العولمة بين الفكر والصورة الخطاب السينماتوغرافي)، ومن الاطار النظري خرجت الباحثة بعدد من المؤشرات التي اعتمدتها في تحليل انموذج عينة البحث وهي مسلسل (The Night Of)، وبعد التحليل ظهرت مجموعة من النتائج ابرزها: هناك قصدية فكرية وعقائدية واثنوعرافية في بناء الصورة في الخطاب السينماتوغرافي غرضها بث مجموعة قيم وافكار تجاه المتلقي .

الكلمات المفتاحية: (الاثنولوجيا، العولمة، الخطاب السينماتوغرافي)

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لحولية كلية الآداب – جامعة عين شمس 2023.

مشكلة البحث:

غالبا ما كانت الطروحات السينماتوغرافية التي تخص الاثنولوجيا ترتبط بالفيلم الوثائقي، تحديداً تلك الافلام التي تبحث في حياة المجتمعات الانسانية، من ازياء وطرز بنائية، عادات وتقاليد وطقوس ولغة وغيرها من المفردات الحياتية، الا ان الجانب الابداعي في السينما الروائية يفترض تحقق المصداقية من خلال تصور خيالي لاحداث انسانية، مستمدة من الحياة الواقعية، هو من يمنح الاثنولوجيا حضور لافت في السينما الروائية والدراما التلفزيونية، التي عالجت عدد كبير من المواضيع ذات التمثلات الاثنية، وقد شهدت الحياة الفنية جملة من التطورات الفكرية والثقافية والعلمية، مهدت الى بروز مفاهيم جديدة جاءت متسارعة ومتداخلة، تدعمها ثورة في العلوم الرقمية وتكنلوجيا الاتصال المرئي، وادى بالمختصين في العلوم والثقافة ان يطلقوا على عالمنا الارضي برمته بالقرية الصغيرة، وظهر ما يسمى بعولمة العالم، وهذه النهضة الكونية في مجال الاتصالات والمعلومات والتكنلوجيا اذ اثرت على صيرورة الفن والثقافة، واصبحت تخضع الى ظاهرة العولمة المعاصرة ، مما ادى الى تكريسها في المجتمعات والشعوب، واخذت مضامين العولمة وتجلياتها تسعى الى تشكيل العالم وفق ابعاد وبنى وقيم ومعايير تجاوزت مقومات الشعوب وخصوصياتها وبدت الهوية الثقافية للشعوب والمجتمعات تواجه تحديات من نوع اخر يصل الى حد تنميط السلوك البشري في بوتقة عالمية موحدة تُجرد تلك المجتمعات من خصوصياتها وثقافتها وفنونها، ان الطروحات الاثنولوجية تقترب كثيراً من معطيات الفيلم السينمائي، بل ان العديد من الافلام السينمائية التي صورت في اماكن متفرقة من العالم، اصبحت مادة مهمة للبحث الاثنولوجي لكنها في الوقت نفسه تكشف عن تداخل وتقاطع بين معطيات العولمة وتمثلات الهوية الاثنولوجية في الخطاب السينمائي المعاصر، وجاء هذا البحث ليجيب على التساول الاتي: كيف تتمثل الهوية الاثنولوجية في ظل عولمة الصورة في الخطاب السينماتوغرافي؟

هدف البحث:

1- التعرف على تمثلات الهوية الاثنولوجية في عصر عولمة الصورة في الخطاب السينماتوغرافي.

تحديد المصطلحات:

الاثنولوجيا:

باللغة الانكليزية: Ethnology

فرع من فروع الانثروبولوجيا، وهي علم دراسة الانسان كونه كائن ثقافي و هي الدراسة المقارنة للثقافة. وهي فرع من الانثروبولوچيا يتخصص بتحليل المادة الثقافية و تفسيرها بطريقة منهجية تشبه فى سماتها العامة الانثروبولوچيا الثقافية. تهتم الانثروبولوجيا بدراسة الأجناس البشريه برسم صورة دقيقة لطرائق معيشته ونظمه وعلائقه الاجتماعية (سليم، 1981، ص314).

وتهتم الاثنولوجيا ايضا بدراسة الظواهر الاجتماعية فى المجتمعات البدائية و تنتهج منهج تاريخي لكي تكتشف نشأة الظاهره و تتبع مراحلها.وتدرس الأثنولوجيا الثقافات الحيّة (المعاصرة) والتي يمكن التعرّف إليها بالعيش بين أهلها، كما تدرس الثقافات المنقرضة (البائدة) بواسطة مخلّفاتها الأثرية المكتوبة والوثائق المدوّنة، وتهتمّ إلى جانب ذلك، بدراسة ظاهرة التغيير الثقافي من خلال البحث في تاريخ الثقافات وتطوّرها" (وصفي،1977، ص 30).

الاطار النظري:

المبحث الاول:

الاثنولوجيا والانزياح الفني للمفهوم

في حياة الانسان اشكال متعددة للحياة من حيث فهمها وطبيعة العيش تتكون منها سمات مرتبطة بطبيعة الحياة والعادات والتقاليد، فضلا عن تميزه بالعقائد التي يؤمن بها، او الارث الاثني والاجتماعي الذي ينتمي له، جعل منه مادة اساسية للبحث والتقصي، للتعرف على مجمل العوامل المؤثر في دراسة الانسان وطبيعة تأثيره وتأثره بالبيئة والافكار وما يمكن ان يمنحه للمكان والزمان من خصوصية في تعامله مع معطيات المجتمع والمتغيرات على مستوى العلوم والتجارب المعرفية، لاحظ الدارسين الفروق القائمة بين شعوب الجنس البشري، واهتموا بمعرفة الطبيعة الإنسانية للإنسان وتفسير الاختلافات في الملامح الجسمية، ولون البشرة و العادات و التقاليد و الفنون وغير ذلك من مظاهر الحياة، و ان جميع المجتمعات تمر بمرحلة تطور واحدة، وفي إطار هذا الاهتمام و التساؤل تطورت الدراسات خلال العصور،وتبلورت بنشأة فرع جديد من فروع المعرفة، اصطلح على تسميته الأنثروبولوجيا، تعدّ الأثنولوجيا فرعاً مهما من فروع الأنثروبولوجيا، يختصّ بالبحث والدراسة عن "نشأة السلالات البشرية، والأصول الأولى للإنسان، وترجع لفظة (أثنولوجيا) إلى الأصل اليوناني(أثنوس Ethnos) وتعني دراسة الشعوب، ولذلك تدرس الأثنولوجيا، خصائص الشعوب اللغوية والثقافية والسلالية" (محمد، 1971 ، ص460)، وكما انها "فرع من الأنثروبولوجبا الثقافية تهتم بالدراسة الوصفية للثقافات الفردية وطريقة الحياة في مجتمع معين، وتهتم بالوصف أكثر من التحليل والتفسير" (الجواهري، 1979، ص164).

اي ان الاثنولوجيا علم يختص بوصف الاقوام ثقافيا وسلوكيا من أجل تحليل هذه السلوكيات وتفسيرها. ومن اجل معرفة الفرق ما بين الاثنوغرافيا والاثنولوجيا، في طبيعة البحث ومدلول الاصطلاح، اذ يشير مصطلح الاثنوغرافيا الى "الدراسة التي تعمد إلى وصف ثقافة ما في مجتمع معيّن، بينما يطلق مصطلح (أثنولوجيا) على الدراسات التي تجمع بين الوصف والمقارنة، فالأثنولوجي يهدف من تلك المقارنات الوصول إلى قوانين عامة للعادات الإنسانية" (وصفي، 1971، ص 25). وتعريف الاثنولوجيا هنا اكثر اتساعا في تخصصه وطبيعة

اشتغاله وحدوده العلمية والتجريبية، فهو علم يصف بدقة كبيرة طرائق الحياة الاجتماعي وكيفية تبلور هذه الصلات وتطورها في انظمة معينة.

كل هذه الموضوعات امتلكت احقية الوجود والانزياح في النتاج السينمائي لانها ترتبط بالانسان، ومازالت تخوض غمار هكذا انواع من افلام اكتسبت حضور فاعل على مستوى النتاج السينمائي العالمي، ولان الانسان ابن مجتمعه، ويتعالق مع الزمن، وطبيعة البيئة التي تفترض جملة من الاشتراطات لتحقيق استمرارية الحياة، وهنا ظهر علم الاثنوغرافيا، وهو علم يحاول الاقتراب من حاضر الانسان وسط مجتمعه، ان طبيعة اعتماد بعض القصص على معطيات البحث الاثنولوجي، ضرورة من اجل تحقيق مصداقية التجسيد، وخصوصية البناء الجمالي للصورة، فضلا عن الموضوعية والعلمية في توصيف وعرض اي من المجتمعات ببيئتها وشخصياتها واحداثها، ان طبيعة الفيلم السينمائي بغض النظر ان كان واقعيا ام شكليا، يتناول الانسان وهو يعيش وسط بيئته تحيط به العلاقات الاجتماعية، بكل تفاصيلها، او تحاول عرض موضوعات غرائبية واسطورية، او خيالي علمي، فان السلوك المهيمن هو من يمنحنا جملة من التصورات الفكرية عن الشخصية، والفعل هو من تؤكد عليه السينما من اجل الكشف عن اعماق الشخصية، او مرجعياتها. فالإبعاد خصوصية فردية، في حين ان السمات الاثنولوجية جمعية تميز مجموعة من الافراد، بجملة من السلوكيات التي تتشكل في طبيعة اللغة والزي والسلوكيات العامة، التي تحيل الى ارتباطه الاثني، مما يعني الكشف عن مجمل البيئات والسلوكيات وطبيعة الاداء الحركي، فضلا عن طبيعة التعامل مع اللغة، بما يحيل الى الانتماء الاثني. الذي يرى بالانسان " كائناً اجتماعياً بطبعه، يحيا في مجتمع معين له ميزاته الخاصة في مكان وزمان معينين، فالأثنولوجيا بوصفها دراسة للإنسان في أبعاده المختلفة، البيوفيزيائية والاجتماعية والثقافية، علم شامل يجمع بين ميادين ومجالات متباينة ومختلفة، تشمل التراث الفكري والإبداع الأدبي والفني، والعادات والتقاليد ومظاهر السلوك في المجتمعات الإنسانية المختلفة" (أبو زيد، 2001، ص7) ، وقد اعتمد صناع السينما التقرير الاثنولوجي عند اخراج فيلم (المحارب الثالث عشر)، في بناء المعالجات الصورية وتجسيد الشخصيات وطبيعة الاحداث والافعال التي دونها (بن فضلان) في تقريره الاثنولوجي. فليست المفاهيم ولا الانطباعات المتعلقة بالعالم الخارجي في موضوعيتها هي التي صارت العوامل الوظيفية، بل القيم الوجدانية المرتبطة بها والمنطلقة بواسطتها. وهذه النظائر الوجدانية لتصرواتنا هي النتيجة للاتجاه المعقد للذات باتجاه العالم الخارجي ولجميع المدركات بوجه عام. ولا يمكن ان يحدث "التعبير الفني" الا اذا حدثت عملية "تحوير" او "تعديل" يقوم بها الفنان من اجل اعادة تكوين المادة الفعل البدائية للتجربة. والواقع ان هناك عمليتين منفصلتين تجري احداهما على المادة الخارجية، في حين تجري الاخرى على المادة الداخلية (او العناصر الذهنية)، وهي في الحقيقة عملية واحدة تنتظم فيها مواد الفنان حين تكون افكاره وعواطفه قد انتظمت بحيث يتحقق ضرباً من الترابط العضوي بينهما. وقد لا يقل "التحول" الذي تخضع له المادة الباطنة للانفعال والتفكير، بسبب تأثيرها وتأثرها بالمادة الخارجية او (الموضوعية) عن ذلك "التحول" الذي تعانيه المادة

الموضوعة بسبب استحالتها الى واسطة تعبير" (ديوي، 1963 ، ص133) الاداء لا يقاس او يحدد بالاستناد الى الاداء وحده، بل يستلزم – من اجل الحكم عليه– الرجوع الى الذين يتذوقون الناتج الفني وعملية الانتاج او الصناعة لا يمكن ان تهلع نهايتها، الا اذا اختبر الفنان النتيجة التي توصل اليها فوجدها حسنة. والخبرة انما تتم في صميم الادراك الحسي المباشر، لا عن طريق الحكم العقلي الخارجي المحض (ابراهيم ، 1966، ص115–117).

ان طبيعة السينماتوغراف وما تحمله من بناء علامي قصدي، لابد وان يكشف عن جملة من الرسائل، التي تحمل ضرورات معينة في البناء الفكري، وهو ما يميز النتاج الفني عن غيره من عمليات التواصل الاجتماعي بصورة عامة، ذلك ان الفنون تسعى الى "تبليغ تجربة المرسل الى متلقي انساني غير معني بها مباشرة، في حين يهدف التواصل الاجتماعي الى الدلالة على علاقة قائمة بين الانسان، ومن ثم بين المرسل والمتلقيط" (جيرو،1999، ص44).

فبعد ان كانت المحاكاة حاجة فطرية المراد منها كيفية المحافظة على الحياة، تحولت المحاكاة من الياتها الطبيعية الى اليات مصنعه، هدفها التعبير المتطور عن الحاجات وايصال الافكار والمشاعر وتوضيح التعقيدات في العلائق وبالتالي تأثير بالأخرين، واخذت هذه الاليات تطور اشتغالاتها في الدراما، واصبحت الحاجة الى المحاكاة من اجل ايجاد نوع من العلاقات البنائية المتداخلة ما بين الشخصيات بوصفها بنية بصرية متكاملة وبين ما تنوب عنه خارج حدود الفيلم.

المبحث الثاني:

العولمة بين الفكر والصورة الخطاب السينماتوغرافي

العولمة:

اول ظهور لمصطلح (العولمة) ظهر عام (1991) حينما تضمن قاموس اكسفورد الكلمات الجديدة في العام نفسه ، بوصفها كلمة جديدة تركز على مفهوم (لوهان) بينما عرفه (اندرو ادجار) بانه يشير الى اضفاء الطابع الكوني والرسمي في مختلف اشكال الفكر والاتصال البشري، وكنتيجة مترتبة على توحيد طرق الانتاج، والعرض، والتسويق من الناحية الاقتصادية، وتحولات في اللغة الاخلاقية والثقافية التي تمتزج بالخطاب البراجماتي للسوق، كما يجدها توفيقا بين الثوابت الراسخة والمتطلبات الراهنة عبر تحديث متسارع لدول العالم غير الغربية (ادجار و جويك، 2009، ص455) .

وحدد المفكر (محمد عابد الجابري) العولمة بانها " نظام او نسق ذو ابعاد تتجاوز دائرة الاقتصاد ،العولمة الان نظام عالمي او يراد لها ان تكون كذلك ، ويشمل كافة المجالات السياسية والثقافية والفنية وغيرها ، كما يشمل ايضا مجال الفكر والايدلوجيا" (الجابري، 2000، ص30) .

إن " العولمة هي ثمرة تطورات موضوعية مرتبطة بالثورة التقنية، لكن هذه التطورات ليست مستقلة عن الاستراتيجيات الدولية من جهة، ولا تعمل من دون الأهداف التي تحددها لها من جهة أخرى" (غليون و أمين، 1999،ص 170)، العولمة الثقافية، اي قدرة الثقافات الأقوى تكنولوجياً على السيطرة على الثقافات الأضعف تكنولوجياً، ولهذا اصبحت الكثير من النخب الثقافية تبحث عن الوسائل الكفيلة بالمحافظة على الخصوصية الثقافية في مواجهة الاختراق الثقافي الذي يقرر سياسة الامر الواقع الذي تفرضه تقنيات الاتصال التي تحمل السلعة الثقافية من الحواضن الغربية وبخاصة الولايات المتحدة الاميركية، او تكريس ثقافة الاختراق، اذ ان التكنولوجيا بدأت تؤدي دوراً تأثيرياً بارزاً ليس على نطاق محلي فحسب ، وانما على نطاق عالمي.

ان الصورة تمثل لغة مرئية نسجل من خلالها ما لنا من خبرات داخلية او خارجية عن عالم لا نستطيع التعبير عنه بالكلمات. لذلك تعد الصور وسائل حيوية للفهم كما تعد تصويراً للخبرات لكل من المبتكر وللمجتمع (سكوت ، 1980، ص7). والفنان شخص يفكر من خلال وسيط (medium) فني معني، ويشتمل الوسيط على عناصر حسية معينة هي الالوان والاصوات، الخ، يتم ترتيبها والربط بينها. وما ينطبق على السلعة في ارتحالها عبر مفاهيم العولمة ينطبق على السينما بوصفها سلعة ثقافية فنية تدخل الصناعة فيها مدخلا كبيرا فلا عجب ان نرى الفيلم الاميركي رمزا للعولمة ففي الفيلم الواحد نرى مخرجا من اسبانيا او الصين وممثلا عربيا كما ان الموسيقى الموضوعة للفيلم قد تستلهم التراث الافريقي او العربي او ان المؤلف من اسيويا فحتى التصوير يتم في اماكن مختلفة من العالم، لا بل ان الانتاج الاميركي قد يكون في بلد آخر وان العمليات المختلفة تجري له على ضوء صناعته ومتطلباته وهذا مايطبق على كل العملية الانتاجية السينمائية لفيلم واحد فكيف بالاستراتيجية المتبعة من قبل هوليوود في الانتاج. والسينماتوغراف على الرغم من عمرها القصير، الا انها تمكنت من تحقيق آثار مهمة على البشرية توثيقا وتسجيلا وتأصيلا لوقائع الحياة الواقعية وتلك غير المنظورة التي ابرزتها الى الوجود الدراما السينمائية والتي عبرت عن مشاعر البشرية الداخلية التي استطاعت الصورة التوغل فيها عميقا وتحويلها الى صورة مرئية عبر وسائل الاتصال المرئية التي "قلبت مفاهيم الديمقراطيات الشعبية والحريات والمجتمات المدنية" (ابو اصبع، 2002، ص524)، ومن خلال العولمة يتم استلاب الروح الاثنولوجية للشعوب عن طريق الصورة الفنية فالهدف غير معلن لكنه مسستر خلف الشكل، فصانع الفيلم يقدم للمشاهد الثقافات الاثنية بشكل جميل ومبهرج ومتقن، لكنه يدخل عليها مضامين فكرية ترسخ مدى الضعف والتبعية للاثنيات في مقابل التقدم الغربي او الاميركي، "والتعبير الفيلمي ينطلق من الدلالة التعبيرية فهو يحافظ على وحدته مهما تنوعت مادته" (حسن، 2017، ص95)، وكل فيلم او مسلسل درامي اميركي او غربي يتناول الاثنيات مندمجة مع وضعهم الجديد في الدول التي يقيموا فيها، لكن بالظرورة عادة مايرتكب الشخص الاجنبي او غير الابيض لكثير من الاخطاء كونه لم يستطع اللحاق بالحضارة او الوصول الى ماوصل اليه الجنس الغربي من رقي وتحضر، وكما ان للصورة

ايجابياتها المتعددة، إلا انها تنطوي ايضا على الكثير من السلبيات كالتلاعب بمشاعر الجمهور وتحويل انتباههم وتضليلهم وتحديد اولوياتهم كما يجري الان في بعض المشاهد المصورة التي تبثها السينما والتي منها تسطيح الثقافة وتصوير اعمال القتل بطريقة لاتثيرالاشمئزاز وغيرها، ومن هذه الايجابيات والسلبيات تشكلت ثقافة جديدة وهي ثقافة الصورة ،التي يمكنها تجاوز اللغة المنطوقة والمكتوبة للوصول الى ادراك المتلقي لانها "خطاب ناجز مكتمل يمتلك سائر مقومات التأثير الفعال في مستقبلية" (عبد العزيز، 1998، ص95)، كما سعت العولمة الى كسر العلاقة القائمة بين النخبة المفكرة التي تعالج قضايا شعوبها وفق المعطيات التي يفرزها الواقع الاجتماعي والثقافي وبين الشعوب المنشغلة بهمومها اليومية اليومية من خلال اشاعة فكرة ان النخب السياسية والثقافية والدينية انما تسعى الى تحقيق مطامحها واطماعها وهيمنتها على حساب الشعوب منطلقة من ان شعوب الدول النامية لاتملك القدرة على تحليل الواقع الذي تعيش فيه وذلك عن طريق خطاب الصورة الذي تبثه الافكار السينماتوغرافية، ولذلك عمل الداعون الى العولمة على " تجاوز الثقافة النخبوية وزيادة الاهتمام بالبعد الثقافي للطبقات الشعبية والترويج للثقافة الاستهلاكية تحت لافتة كسر احتكار المعرفة وحق الجماهير بالثقافة المبسطة" (ظاهر، 1993، ص56)، بالنظر إلى تاريخها، لعبت الأفلام الأمريكية دوراً كبيراً في إعطاء صورة سلبية للاثنيات عندما لم يكن هناك مصدر آخر للمعلومات حولهم وحول ثقافتهم، وحيث أنها تشاهد من قبل شريحة عريضة ومتنوعة من الناس في أنحاء العالم، فقد ساعدت الأفلام الأمريكية في انتشار هذه الصور النمطية السلبية حولهم.

مؤشرات الاطار النظري:

1-يمتلك النتاج السينماتوغرافي في زمن العولمة خطابا اثنولوجيا متواشج مع الخطاب الفني والفكري.

2-تصدير الافكار يتم ضمنيا عبر الخطاب السينماتوغرافي، وقد يستهدف هذا الخطاب شعوبا مختلفة وثقافات متعددة.

3- تضمين الانتاج السينماتوغرافي مشاهد وبيئات وشخصيات اثنية محلية من اجل الوصول الى مساحة اقناع اكبر.

اجراءات البحث:

عينة البحث: لاتساع مساحة مجتمع البحث المحددة بالخطاب السنماتوغرافي الذي يضم خطابا اثنولوجيا، فقد رصد مسار البحث عينة قصدية تمثلت بمسلسل (The Night Of).

وقد اختارت الباحثة هذا المسلسل كونه انموذج لتصدير الخطاب الاثنولوجي عبر عولمة وسائل الاتصال والتواصل ومنها (السينماتوغراف)، وهو انتاج اميركي مشترك لقناتي HBO وBBC Worldwide.

سنة العرض: 2016

اخراج : (جيمس مارش :James Marsh) و(ستيفن زايليان:Steven Zaillian)

قصة وسيناريو وحوار: (بيتر موفات: Peter Moffat)

تمثيل:

(ريز احمد:Riz Ahmed) يقوم بدور (ناصر خان)

(جون تورتورو :John Turturro) بدور المحامي (جاك ستون)

(بيل كامب :Bill Camp) بدور الملازم (بوكس)

(صوفيا بلاك Sofia Black)بدور(اندريا كورنيش) _القتيله محور القصه

(جيني برلين: Jeannie Berlin) قامت بدور المدعي العام (هيلين رايس)

اداة البحث: الملاحظة باستخدام مؤشرات البحث كوسيلة للقياس.

ملخص قصة المسلسل: (The Night Of)

المسلسل مكون من 8 حلقات تدور قصته حول ناصر أو ناز خان كما يحب أن يلقب، طالب جامعي أميركي من أصل باكستاني مسلم، يستعير سيارة الأجرة التي يتشارك أبوه ملكيتها مع اثنين آخرين، لذهاب لحفلة أحد الأصدقاء، في الطريق تركب معه فتاة يجذبه مظهرها لينتهي بهم الأمر في منزلها ويتعاطيان المخدرات ليستيقظ بعد ساعات ليجدها مقتولة بطريقة بشعة، ولتأثير المخدر في جسده لا يستطيع تذكر أحداث هذه الساعات أو الإجابة على السؤال الأهم (هل قتلها أم لا ؟). يظهر المسلسل كيفية تعامل النظام القضائي الجنائي الأميركي وإدارة السجون مع مثل هذه القضايا، ويلقى الضوء على معضلة الإسلاموفوبيا في أميركا من خلال معاناة أهل المتهم، حيث يبدأ نوع من الحصار الاجتماعي عليهم ينتهي بطردهم من أعمالهم ومدارسهم، ولاثنولوجيا حاضرة بقوة هنا كون ان المسلسل يسلط الضوء على حياة المهاجرين الى الغرب بشكل عام والولايات المتحده بشكل خاص وخاصة المسلمين منهم وكيف هي علاقاتهم مع بعضهم وعلاقتهم بهذا المجتمع الغريب على عادتهم وديانتهم وتقاليدهم وكيف انهم يعيشون في اوضاع خاصة هناك فنحن نجدهم يعيشون في احياء خاصة بمن هم مثلهم او من نفس ديانتهم او اصولهم فعائلة (ناصر خان) بطل المسلسل تعيش في حي يضم عوائل مهاجره من اسيا من اجل خلق بيئة مشابهه للبيئه التي جاؤو منها فنلاحظ من خلال تجوله في اسواقهم والتي تقع في مدينة مانهاتن الاميركية ان المكان والمحلات والازياء الشعبيه التي يرتديها الناس في هذا السوق وكاننا في الباكستان فلا يصلنا شعور ان هذه احياء تقع في اميركا فهم رغم انهم يحملون الجنسية الاميركيه الا اننا نراهم لا زالو محتفظين باصولهم الاثنيه، التي جاؤو منها.

التحليل:

المؤشر الاول:

يمتلك النتاج السينماتوغرافي في زمن العولمة خطابا اثنولوجيا متواشج مع الخطاب الفني والفكري.

لا يمكن ان تغدو الصورة مجرد نتاج جماليا ذا امكانيات درامية تؤثر في المتلقي بعفوية دون وجود بعث فكري يمكن العثور عليه في اعماق الصورة في الخطاب السينماتوغرافي. فالقصدية التي اوجدت الصورة لتصديرها الى العالم كونه فضاءا مفتوح الافكار ومتداخل في الرسائل المبثوثة للخطاب السينماتوغرافي. تسعى لترسيخ جملة من القيم الفكرية المنبطنة للعمل السينماتوغرافي. وهذا تحديد ما شاهدته الباحثة في مسلسل (The Night Of). فالاحداث البسيطة التي اظهرت المجتمع الامريكي وهو يعيش بسلام ووئام. فضلا عن توفير حياة متكافئة لجميع السكان بغض النظر عن مرجعياتهم الفكرية او عقائدهم التي يؤمنون بها سرعانما تلاشيت مع اول عقبة تواجة الشخصية الرئيسية وهو يمارس حياته بكونه شاب يعيش حياة مفعمة بالمغامرات. انه ينتمي لهذا المجتمع الذي يمنح الجميع الحرية. ويجعله يشعر بالانتماء، فبعد الاحداث التمهيدية للمسلسل نلاحظ في الحلقه الاولى اثناء محاولة دخوله مع الفتاة الى بيتها، يصادفان شابان، يبدأن بمحاولة التعرض له والقاء مفردات تدل على العداء للاسلام بقولهما له: (لماذا يا مصطفى تركت قنابلك في البيت واتيت لتحصل على المتعه) فهنا نلاحظ الحكم عليه دون معرفة حتى ان كان مسلما ام لا. نرى ان المخرج قد عمد الى بلورة مجموعة لقطات تكشف سلسلة الانهيارات التي بدأ تصيب الشاب اولا ومن ثم عائلته في. فالحادثة جنائية ان تأكد بالدليل انه هو من فعل هذا الفعل الشائن. وهنا يجب ان يأخذ القضاء دوره ومن ثم سجن الشاب لتنتهي الاحداث الجنائية كما هو الحال في مئات القضايا التي تعرض امام المحاكم الامريكية، ولكن وبسبب انتماءه الانثوغرافي، ومرجعيات وعقائده الدينية اصبح لزاما تحميل الحادث الجنائي بمديات اكثر قسوة، انه مسلم وشرقي. من باكستان وهذا ما يتطلب ان تطبق معادلة الاسلامفوبيا، بشكل كبير. يجب ان يظهر الشاب وهو يحمل العقائد الفاسدة التي تدمر الحياة وتمنع الانسان من التطور، لذا نرى المخرج قد وظف هذا الاشتغال الفني عبر توظيف البناء المونتاجي او توظيف المؤثرات الصورية. فكل شيء في الصور داخل هذه المسلسل اصبح يشير بعدوانية الى هذا الشاب الباكستاني المسلم. رغم ان جنسيته امريكية. فالبعد الاثنوغرافي كان حاسم في بلورة العديد من الصياغات الصورية، او بناء استعارت مجازية داخل حدود الصورة سيما عند دخول هذا الشاب الى السجن من اجل ان يلقى جملة من الاعتداءات والتهديدات لا بسبب الجريمة الجنائية وانما بسبب انتمائه ومرجعياته الدينية والعقائدية. لذا فان المخرج قد وفق بطريقة فاعلة في ابراز زيف المجتمع الامريكي وهشاشة القضاء الامريكي وهو يحاسب شاب يحمل الجنسية الامريكية الا ان هناك تميز عنصري ضده. بسبب اصله الشرقي ودينه الاسلامي.

المؤشر الثاني:

تصدير الافكار يتم ضمنيا عبر الخطاب السينماتوغرافي، وقد يستهدف هذا الخطاب شعوبا مختلفة وثقافات متعددة.

ان طبيعة الاحداث في مسلسل (The Night Of) اوجدت حالة من الانقسام الفكري والاثنوغرافي، تجاه قضية جنائية. فالشاب الباكستاني المسلم، لم يك ذا دوافع اسلامية او قومية او حقد. او ذا فكر اجرامي محترف. وانما هو شاب عاش نزوه وهذا امر شائع. وحالة الانقسام الديني والاثنوغرافي اشرتها الباحثة في طبيعة الاحداث في المسلسل. فالشاب وان كان ذا اصل باكستاني ومسلم. الا ان افكاره وتصرفاته امريكية بحته. فهو يشرب الخمر ويستنشق المخدرات، ويمارس الجنس بطريقة انتقائية بعيدة عن ارتباط اخلاقي او قيمي. وهذا ما يجعله مخالف بطريقة كبيرة لتعاليم الدين الاسلامي. وهو ما يتطلب معاقبته دينيا قبل ان يعاقب قانونياً. هذه الحقيقة التي عرضها مخرج المسلسل بطريقة ناجحة وذكية، لم تكن كافية ليقتنع القضاء ورجال الشرطة . بمخالف الشاب الباكستاني الاصل لتعاليم دينه. بل ظل حبيس المفهوم الديني انهم يحاولون ترسيخ مفهوم الاسلامفوبيا باي وسيلة. فاكان الاتهام مباشر انه مسلم وقتل مسيحية بسبب أختلاف العقائد الدينية، وهذا ما تنكره احداث المسلسل بطريقة كلية. لان الشاب كان يمارس كل الافعال المعتادة في المجتمع الامريكي ولم يمارس اي فعل يدل على انتمائه الديني.

هذا من جانب ومن جانب اخر. ترى الباحثة ان المخرج قد عرض بذكاء من خلال معالجات اخراجية متقنة. طبيعة التحولات التي طرأت على عائلة الشاب. من وسائل تهديد ووعيد. وطرد من العمل وطرد الاطفال من المدارس. كل هذه الافعال لا يمكن ان تمد للمدنية او القانون بصلة. بل كان المفروض ان يتم محاكمته بطريقة متوازنة بكونها جريمة جنائية، وبدل عن ذلك تعرضت العائلة على طوال حلقات المسلسل الثمانية الى العديد من الافعال الشائنة. التهديد والتعدي وكذلك العزل. وكأنهم كائنات غريب لا تنتمي للجنس البشري في شيء. لذا نجح المخرج في الكشف عن اعماق افكار المجتمع الامريكي الذي يحاول ان يصدر الايجابية والعلمانية والافكار الانسانية في انه غارق بشكل لا يصدق في طرح افكار عدوانية وعدائية ضد الاثنوغرافية الاخرى والعقائد الدينية الاخرى بطريقة التمييز العنصري الذي عنى منه السود لعشرات السنين، كما يظهر المسلسل كيف ان الرجل الابيض متفاني في عمله ومخلص ففي الحلقة الثانية من المسلسل في حوار بين المحامي (جاك) والمتهم (ناز) يصف المحقق (بوكس) بانه ظالم موهوب يحب ان يعمل كل شيء بيديه ويحب ان يطبق القوانين للايحاء بدقته وحبه لعمله حتى لو على حساب الاخرين ويحذره من الكلام معه.

المؤشر الثالث:

تضمين الانتاج السينماتوغرافي مشاهد وبيئات وشخصيات اثنية محلية من اجل الوصول الى مساحة اقناع اكبر.

كشف مسلسل (The Night Of) عن حقائق حاول الاعلام الامريكي والسينما الهوليودية نفيها بشكل مطلق الا وهو الاسلامفوبيا الذي اوجدته وسائل اعلامية عالمية تتحكم امريكا بالعديد منها. لذا كان المسلس اشبه علمية تحليل دقيق يعرض فيه طبيعة المجتمع الامريكي. على الرغم من تأكيد الباحث ان ثيمة هذا المسلسل تقترب من ثيمة فيلم ممر الى الهند وما حصل للدكتور عزيز عندما اتهم بانه اغتصب الشابة الانجليزية. نرى ان طبيعة الفعل قد اخذ شقين فالدكتور عزيز ينفي ما حصل في حين تؤكد الفتاة فعل الاغتصاب. وهكذا انشطر المجتمع بين مؤيد لرواية الدكتور عزيز وشطر مؤيد لرواية الشابة الانجليزية.على الرغم من ان مؤلف الرواية لم يذكر او ينحاز لاي طرف. بل عرض ادعاء الشخصين دون تدخل. هذه الحادثة. لم تأخذ في المجتمع الهندي اكثر من كونه حادثة اخلاقية وقيمية. لكن من حصل في مسلسل (The Night Of) ان المجتمع الامريكي وكذلك السلطات القضائية وجهاز الشرطة وهيئة السجون والاعلام الامريكي كان يأخذ الجانب الوحد نفسه، اي ادانة الشاب الباكستاني ليس بسبب الفعل الجنائي الذي يجب ان يحقق به ويحاسب عليه اذا ثبت هو القاتل ولكن بسبب انتماءه الاثنوغرافي وعقيديه الدينية الاسلامية. ففي المشاهد التي اظهرت الشاب الباكستاني وهو يدخل السجن نرى ان رجال الشرطه من السجانين كانوا يتعاملون معه بطريقة عدونية ووحشة. لانه يرون فيه وحش. في حين كان افعالهم اكثر وحشية. فضلا عن اعتداء بعض السجناء عليه وضربه شرب مبرح. بسبب انتماءه الديني فحسب. في حين هناك العديد من السجناء من قتل الاطفال بعد اغتصابهم او من فعل العديد من الجرائم العنيفة لم يتعرض له السجناء باي شي. لا حرس السجن، بل كان الشاب الباكستاني وهو الوحيد من يتعرض للاذى بشكل متكرر، على الرغم من عدم ثبوت الفعل الجنائي عليه. فضلا عن وقوعه تحت تأثير المخدر، اي ان افعاله لم تكن واعية كما هو الحال في العديد من القضايا الجنائية.

النتائج:

1-يعد الخطاب السينماتوغرافي وسيلة فكرية وعقائدية معولمة، يمكن التأثير بها على المتلقي اثنوغرافيا.

2-هناك قصدية فكرية وعقائدية واثنوعرافية في بناء الصورة في الخطاب السينماتوغرافي غرضها بث مجموعة قيم وافكار تجاه المتلقي.

3-تخفي الاحداث الدرامية خلفها خطابا اثنو غرافيا وعقائديا داخل النتاج السينماتوغرافي.

4-تمتلك عناصر اللغة في الوسيط السنيماتوغرافي القدرة على التعبير عن الافكار الاثنوغرافية عن طريق الزي والحوار والاكسسوارت بشكل مباشر وغير مباشر.

Abstract

Ethnology and globalization of image in cinematographic discourse

By: Shurooq malik hasan

The globalization of all its effects is a way to export the ideas of cinematographic filmmakers through a visual discourse based on ethnology to pass a speech that devalues the value of non-Western peoples. To study this topic, the researcher presented her research problem (how is ethnological identity under globalization in the cinematographic discourse?) , And the theoretical basis of the research, the theoretical framework was represented on two topics: the first topic (ethnology and the technical displacement of the concept), and the second topic (globalization between thought and image discourse cinematography), and from the theoretical framework came out a number of indicators adopted by The analysis of the sample of the research sample, the series "The Night Of", after the analysis emerged a set of results, most notably: There is an ideological and ideological and theological purpose in building the image in the discourse of cinematography purpose to broadcast a set of values and ideas towards the recipient.

Keywords: Ethnology, globalization, cinematographic discourse

قائمة المراجع والمصادر:

1- ابو زيد ، احمد .(2001)، الطريق إلى المعرفة، كتاب العربي (46)، الكويت، منشورات مجلة العربي.

2- ابو اصبع، صالح،(2002)، تكنلوجيا الاتصال الجماهيري وافاق الحرية والابداع، عمان، منشورات جامعة فيلادلفيا.

3- الجابري، محمد عابد، (2000)، العولمة والهوية الثقافية ، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط3.

4- الجواهري، عبد الهادي، (1979) و قاموس علم الاجتماع، الهيأة المصرية العامة للكتاب، مصر.

5- إبراهيم، زكريا، (1966) فلسفة الفن في الفكر المعاصر، مكتبة مصر، القاهرة.

6- ادجار و جويك، (2009)،موسوعة النظرية الثقافية ،ترجمة: هناء الجواهري ، القاهرة، المركز القومي للترجمة ،ط1.

7- بير جيرو ،، سيميائيات التواصل الاجتماعي، مجلة علامات، تر: محمد العماري، العدد 12، المغرب.

8- برهان غليون وسمير أمين (1999)، ثقافة العولمة وعولمة الثقافة دمشق ، دار الفكر .

9- حسن، شروق مالك، (2017)، البناء الجمالي والتعبيري في الفيلم الروائي المعاصر، مجلة الاكاديمي، العدد 86.

10- ديوي، جون، (1963)، الفن خبرة، ترجمة: زكريا ابراهيم، القاهرة، دار النهضة العربية.

11- سكوت، روبرت جيلام،(1980)، اسس التصميم.

12- سليم، شاكر مصطفى، (1981)، قاموس الانثروبولوجيا، جامعة الكويت.

13- محمد ، اسماعيل قباري، (1971)، الأنثروبولوجيا العامة،الاسكندرية.

14- ظاهر، مسعود، (1993)، الثقافة العربية في مواجهة التغيرات الدولية الراهنة ، مجلة الفكر العربي المعاصر ، العددان 100، سوريا: اتحاد الكتاب العرب .

15- عاطف وصفي، عاطف، (1971)، والأنثروبولوجيا الثقافية، دار النهضة العربية، بيروت.

16- عبد العزيز، بلقزيز، (1998) ،العولمة والهوية الثقافية ، مجلة المستقبل العربي ، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية .

17- وصفي،(1977) ، الثقافة والشخصيّ ، دار المعارف بمصر.